الفخار وأهميته

حتى العصر القبطى والاسلامى

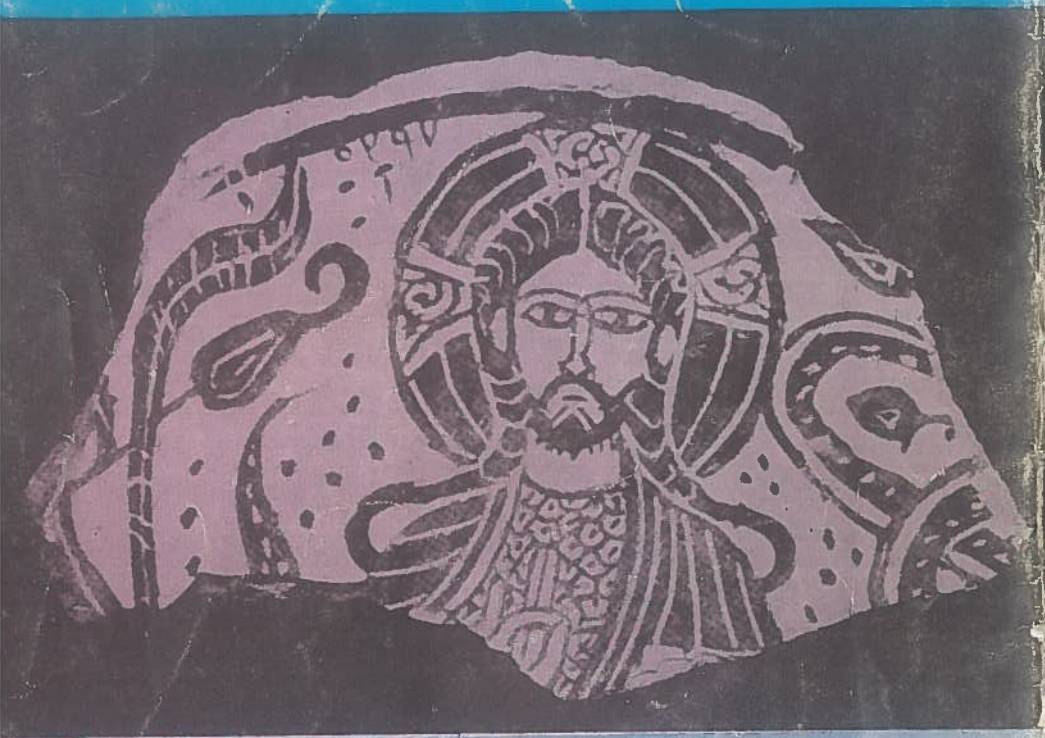

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

الفخار وأهميته
حتى العصر القبطى والاسلامى

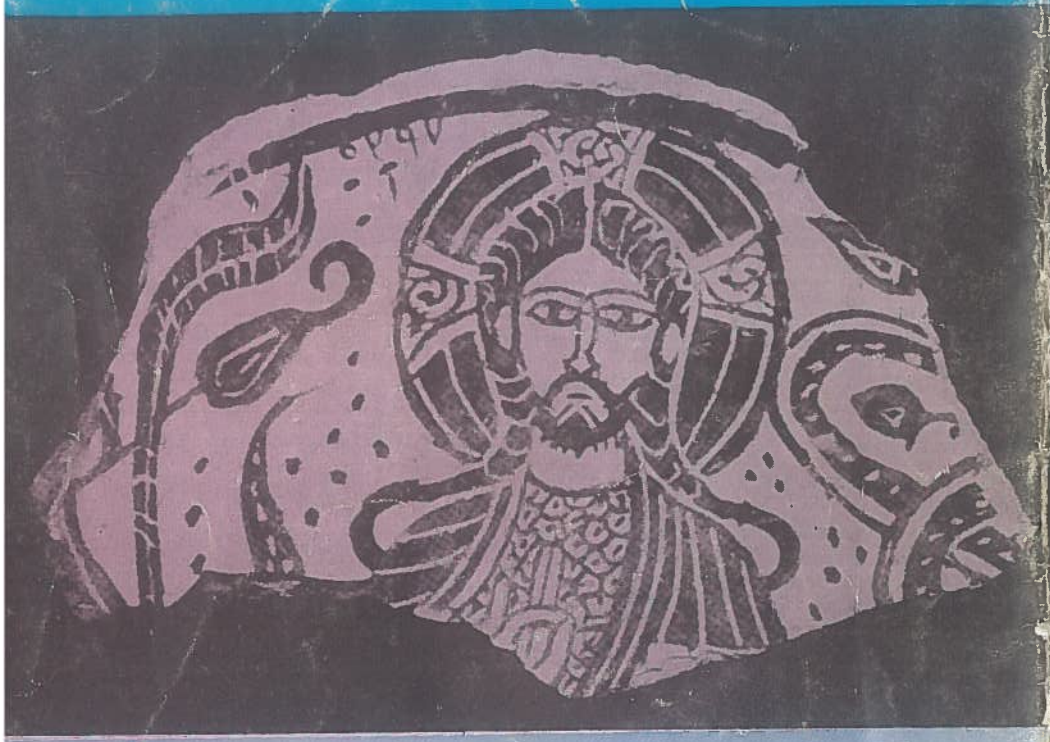

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

POTTERY
UNTIL COPTIC & ISLAMIC ERA

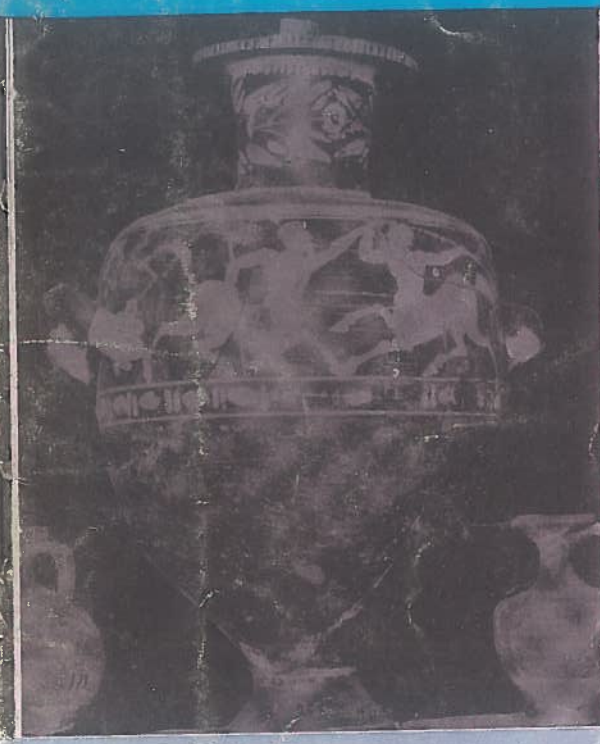

MAHABBA BOOKSHOP

Dr. RAOUF HABI

الفخار وأهميته حتى العصر القبطى والاسلامى

صناعة الفخار أقدم الصناعات اتصالاً بتاريخ المدنية الإنسانية على الاطلاق ، لانها لازمت الإنسان فى جميع أطوار حياته منذ الخليقة . كما أن الفخار هو المصدر الأساسى الذى يمدنا بفكرة صحيحة عن خطوات التقدم البشرى وقفزاته فى مستهل حياته . والمصريون هم أول من ابتدع صناعة الخزف أو الفخار منذ فجر التاريخ ووصلوا به إلى درجة مرموقة فى الدقة والإتقان . وكان هناك كثير من الدوافع التى تحتم عليهم الأهتمام والعناية بتلك الصناعة منذ القدم لأن الأوانى الفخارية كانت الوسيلة الجوهرية اللازمة لطهى مأكولاتهم وحفظ السوائل على اختلاف أنواعها ووضع الحبوب فى الجرار الكبيرة لصيانتها من التلف كما كانوا أحيانا يشكلون منه حتى التوابيت اللازمة لحفظ جثث موتاهم – أما فى صناعته فكانوا يستعملون أنواعاً مختلفة من الطفل والطين أو الطمى النيلى فى عمله . ونظرا لأن مصر أغنى أقطار الدنيا بالمواد اللازمة فى صنع الفخار أو الخزف فقد انتشرت صناعته انتشارا كبيرا وتنوعت أشكاله فى جميع أنحاء البلدان المصرية منذ أقدم العصور التاريخية .

ولم يكن يفطن علماء الآثار إلى أهمية الفخار حتى عام ١٨٩٠ للميلاد حتى شرعوا فى العناية بدراسة أنواعه المختلفة وأشكاله المتعددة وميزة كل منها كما عنوا أيضا برسم كل نوع من أنواع الفخار التى كانت تظهر فى حفائرهم فكان ذلك من العوامل الهامة التى ساعدت على معرفة تاريخ الأماكن التى وجدت فيها الآثار . وأول جهة عثر فيها على الفخار فى مصر كانت فى منطقة « مارمدة » من أعمال بلدة « بنى سلامة » حيث ظهرت بها مجموعات مختلفة من عصر ما قبل التاريخ ،

وامتازت أنواعها باختلاف أشكالها وتعددها مع خشونة سطوحها ، كما ظهر فى مناطق أخرى فى الصعيد فى بلدتى البدارى وتاسا وغيرهما وامتاز فخارها بنعومة سطوحه الحمراء وسواد رقابه مع الدقة البراقة البالغة ، كما لوحظ على سطوح كثير من فخار عصر ما قبل التاريخ رسوم بدائية باللونين الأحمر والبنى تمثل بعض السفن أو الحيوان كالوعول والغزلان أو الزراف والنعام وغيرها .

ثم ظهر أن كل عصر من العصور امتاز بانواع وأشكال خاصة من الخزف فكانت مهمة فحول رجال الآثار والعلماء منهم ترتيب تلك الأشكال المختلفة وتبويبها حسب أزمانها وجهاتها على وجه التقريب . بل امكن للخبراء منهم أن يصلوا إلى معرفة العصر الذى تنتمى إليه مجموعات الفخار ، بل وأمكنهم أيضا فى غالب الأحيان تحديد الأسرة التى صنعت فيها ، فجاء عملهم هذا فتحا جديدا فى تاريخ علم الآثار اذأنهم وضعوا أسساً وقواعد علمية قيمة للدارسين من طلاب الآثار والباحثين يستنيرون بهديها فى معرفة عصور أو أزمان ما يصادفهم من مجموعات الفخار المتنوعة أو مما يعثرون عليه فى حفائرهم .

ومن طريف ما سجله لنا تاريخ الفراعنة منظراً رائعا على أحد جدران مقبرة أحد الأمراء فى بلدة سقاره يمثل كيفية صناعة الفخار بطريقة غاية فى الوضوح والسهولة وتوضح صور الخزافين وهم يمارسون عمل الأوانى المختلفة الأشكال ثم طريقة تنظيمها ثم وضعها داخل أفران خاصة لأحراقها وذلك فى الأسرة الخامسة ، كما سجل أحد المناظر أيضا العجلة التى كانت تستخدم فى تشكيل الأوانى وكان الخزاف نفسه يديرها بيده . وهى معروفة لديهم منذ أقدم العصور كما يزعمون أن عليها صاغ خالق الكون باكورة البشر « خنوم » معبود الفنتين فى بدء الخليقة .

وقد كانت الأوانى الفخارية والأوعية البسيطة خاصة تشكل فى عهد الدولتين

القديمة والمتوسطه بالأيدى كما استخدمت العجلة أيضا . وظهرت من مجموعات ذلك العصر أنواع عديدة من أشكال الجرار والقدور والصحاف والصحون والأطباق المختلفة الأحجام . وقد لوحظ أن القدور المحروقة كانت توضع داخل الأفران منذ فجر التاريخ حتى عهد الدولة القديمة بحيث تكون فوهاتها فى النار مما أدى إلى اسوادها ، كما أن معظم الأوانى الكبيرة والصغيرة كانت خالية من القواعد التى تستقر عليها بل كانت تضيق فى أجزائها السفلى مما يدل أنها كانت تثبت إما فى أرضية المنازل على غرار ما كان يتبع فى جرار الخزين بمدينة « تل العمارنة » وأما نوضع فى قواعد على شكل حلقة أو حامل خشبى . ومن ميزة الأوعية على اختلاف أشكالها فى عهد الدولتين أيضا البساطة بصفة عامة وخلوها غالبا من وجود المقابض كما امتازت زخارفها كذلك برسومها المحفورة وصورها الملونة .

ومنذ بدء عصر الدولة الحديثة أى من الأسرة الثامنه عشرة ظهرت الزخارف على الأوانى المصنوعة من الصلصال وكانت تزين غالبا بأكاليل الزهر بألوان زاهية كما كانت تحلى أحيانا بصور لبعض الحيوان أو الطير كالثيران أو الخيل والبط وغيرها . هذا وقد انتشرت صناعة تزجيج الفخار وهى التى تسمى بالقاشانى المصرى ، وكان التلوين فيها غالبا باللونين الأزرق أو الأخضر ، وكانت معروفة أيضا منذ فجر التاريخ حتى أواخر عصر الأسرات المصرية .

أما فى العصر اليونانى الرومانى فقد ظهرت فيه أنواع خاصة من الأوانى الخزفية اشتهرت بدقة الصناعة ورتبها الرائعة ومنها أشكال الكؤوس والدوارق والسلاطين الراقية والتى زينت سطوحها الخارجية بأشكال عديدة من الرسوم ذات المناظر الأسطورية العديدة الألوان الأرجوانية أو السوداء وكذلك مناظر وتماثيل فخارية دقيقة متنوعة وقد شُكلت باتقان بالغ على هيئة آلهة الجمال . أو آلهة الحب وغيرها من

المناظر الأسطورية العديدة ومزينة بالألوان المختلفة . وانتشرت صناعة المسارج الخزفية الأنيقة التى زينت سطوحها بصورة بارزة تمثل أشكالا آدمية وآلهة وأساطير ونقوش أخرى زخرفية دقيقة الصنع ، كما أنفرد العصر المذكور أيضا بصناعة نوع من البرانى الجميلة الأشكال كان يرسم على سطوحها أحيانا مناظر آدمية أو فرسان بالألوان وكان استعمالها قاصراً على حفظ الرماد المختلف من حريق أجساد الموتى . ويحتفظ المتحف اليونانى الرومانى بالأسكندرية بمجموعة متنوعة من تلك الأوانى الفريدة .

أما الفخار الذى ازدهر فى العصر القبطى فما زال حتى الآن فى عهد الدراسة وبالرغم من أن أنواعا عديدة منه اختصت بعلامات ورموز تميزها عن الفخار المصنوع فى العصور الأخرى إلا أن كثيرا ما نصادف بين مجموعاته أشكالا تشترك فى نوع الخزف المنسوب إلى العصر اليونانى الرومانى بل منها ما يشابه ما كان يصنع فى العصور المصرية القديمة . على أن هذا أمر طبيعى على خزافى العصر القبطى أن يقلدوا ما كان يصنعه أجدادهم من قبل من أشكال الفخار بالرغم من ابتكارهم أنواعا رائعة منه تثير الإعجاب . وقد ترعرعت صناعة الفخار ونما شأنها فى العصر القبطى حتى القرن الثالث عشر للميلاد وكثر استعمالها وزادت منتجاتها إلى درجة أنه روى أن الباعة فى ذلك الوقت كانوا يسلمون ما يبيعونه من السلع إلى المشترين فى أوان خزفية بدون مقابل ، وترجع كثرتها ورخصها بطبيعة الحال إلى زيادة انتاجها الهائل مع سهولة الحصول على المواد التى تصنع منها ووفرتها .

أما أشكال الأوانى الفخارية على اختلاف أنواعها وأحجامها فقد امتازت بدقة الصناعة وجودة صقلها ونعومة سطوحها وزهاء ألوانها الحمراء أحيانا مع جمال الرسوم والنقوش التى تزينها ، ومن تلك الرسوم ما يمثل رموزا أو مناظر دينية والبعض زين بأشكال الحيوان الخرافى منه أو المتوحش أو المستأنس أو بأنواع الطيور

المختلفة كالبط والحمام أو البجع أو الطاووس أو بمناظر الأسماك أو بأفرع الكرم أو الزيتون أو رسوم هندسية أو صلبان أو بأشكال آدمية قد تمثل بعض القديسين أو الرهبان . ومن بين الأوانى التى زخرت فى العصر المذكور مجموعة قيمة من المسارج الصغيرة نقش على معظمها رموز ونصوص قبطية بازرة ، وعدد كبير من القارورات الصغيرة الجميلة الأشكال والتى كانت تستخدم فى حفظ أنواع العطور والدهون والطيوب وغير ذلك من أنواع السوائل الأخرى ، وكذلك مجاميع الأنابيب الصغيرة المستديرة التى تعرف باسم أوانى القديس « مينا » وقد حليت بصورة بارزة له تمثله وهو قائم بين جملين وحوله أحيانا كتابة بالأحرف القبطية وأحيانا اسماء لبعض أشخاص ربما ترمز غالبا إلى صانع الآنية أو توقيعه . ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من قطع الخزف قد استخدمت فى العصر المذكور فى تدوين النصوص القبطية عليها والآيات أو الترانيم وأحيانا فى تدوين بعض التعاويذ ثم كوسيلة لتحرير الرسائل عليها بين رهبان الأديرة وغيرهم وفى كتابة الأيصالات كما يتعلمون عليها طريقة تحسين وأتقان الأحرف القبطية عند البدء فى تعليم الكتابة . هذا وقد عثر فى الأديرة القديمة على عدة قطع من الفخار وعليهاالآثار التى تؤيد الأغراض المذكورة وترجع غالبا إلى ما بين القرن الخامس والثامن الميلادى .

أما فى العصر الاسلامى فحق لمصر أن تتبوأ المكان الأول فى الإنتاج الرائع الذى غمر البلاد من أنواع الخزف الخلاب الفاخر وما حوى من الزخارف والنقوش الفنية الدقيقة والأشكال المختلفة التى زخرت بها عاصمة الدولة وقتئذ ، والدليل على ذلك مجموعات القطع الهائلة من الفخار المهشم الذى لا حصر لها وخصوصا ما عثر منها فى حفائر مدينة الفسطاط وكلها آيات بينات تكشف لنا عن مكنونات تلك العصور الزاهرة فى تاريخ صناعة الخزف وكيف انتعشت وتطورت وارتقت خصوصا فى زمن الطولونيين والفاطميين والمماليك ، وناهيك عما ذكره بعض

الرحالة عن روعة الأوانى الخزفية والكوؤس والصحاف البديعة وما امتازت به من لمعان وبريق معدنى يخلب اللب ويأخذ بمجامع القلوب . وقد أيد ذلك الرحالة الفارسى « ناصرى خسرو » إذ أظهر دهشته وسروره البالغ مما رأه من عظم وبهاء تلك الأنواع الجميلة اللامعة من الخزف والقاشانى المصرى ووفرتها ، كما أن الرسوم العديدة التى تزينها وموضوعاتها التعبيرية من مناظر آدمية تمثل بعض الفتيات الراقصات أو الحفلات الموسيقية المرحة والشراب أو أشكال الحيوان والطير فى حركات وأوضاع طبيعيه وكأن دبيب الحياة يكاد يدب بين أعضائها ، وكان انتشارها بصفة خاصة فى العصر الفاطمى تعد كل هذه بلا شك أكبر مفخرة فنية لصناعة الخزف فى العصور المذكورة – ومن بين القطع الخزفية مما زينت ببعض الرنوك أو برسم كؤوس أو صلبان أو سيوف أو اسماك وعلى البعض الآخر منها بعض كتابات كوفية أو عربية ومغطاه بطلاء براق . ومن خصائص مجموعات قطع الخزف التى أنتشرت فى العصر المملوكى ندورة الرسوم الآدمية أو الحيوانية عليها كما كثرت الزخارف الهندسية والنباتية والأزهار فيها وغلبت عليها الألوان البنية والخضراء . ومن طريف ما شوهد أيضا على كثير من قطع الخزف توقيع بعض الصناع أو اسماء بعض أصحاب المعامل التى صنعت بها تلك الأوانى . ويرجع تاريخ تلك المجموعات الخزفية المتنوعة غالبا إلى ما بين القرن الحادى عشر والخامس عشر الميلادى .

طبق كبير الحجم مستدير زين سطحه برسوم ملونه نباتيه وازهار وبالوسط صورة سمكه كبير الحجم من البلطى

Large round pottery dish. Its surface was ornmented with floral and plant designs and in the centre is the figure of a big bolti fish.

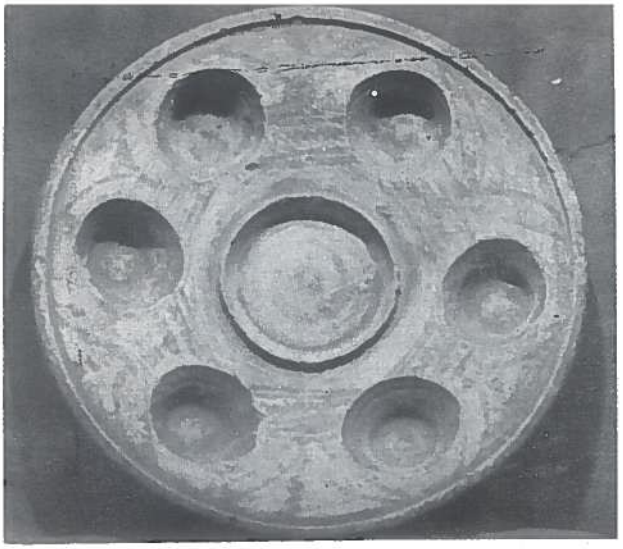

طبق كبير الحجم فى الفخار الأحمر مزين فى الوسط برسوم هندسية غائرة وبه سبع فجوات لعدة طباق

المتحف القبطى – القرن السادس

Large plate with seven cavities for various dishes. 6*th*. century. Coptic Museum.

مجموعة خزف من العصر اليونانى الرومانى تتوسطها الآنية الخاصة بحفظ الرماد المتخلف عن حرق الجثث الآدمية بعد الوفاة

المتحف اليونانى الرومانى

Group of Graeco-Roman earthenware, containing in the centre the special urn, destined for the preservation of the ashes axtant after burning the human corpses after death.

إناءان رقيقان من الفخار مزينان برسوم بالألوان تمثل حيوانات خرافيه – القرن السادس

Two fine vases adorned with coloured designs representing fantastic animals. 6*th*. century.

مسرجتان من الفخار نقشت أسطحها بنقوش بارزة

Two oil-lamps of pottery carved with designs in relief.

طبق كبير دقيق الصنع على حافته رسوم هندسية وفى الوسط صورة لعلها لغادة تمسك أغصانا فى يديها وحول رأسها اكليل القرن الخامس/السادس

Large round plate, well fabricated with geometric designs on its rim. In the centre is the picture probably of a blooming lady holding branches in her hands and around her head appears a garland. 5*th*. /6*th*. cent.

جرة كبيرة من الفخار فريدة فى صناعتها معدة لحفظ النبيذ اللازم فى التناول وسطحها مزين بنقوش بارزه تمثل الكرم وأغصانه وقد شُكل الفم على هيئة ادمى ذى لحية القرن السادس/السابع

Large pottery jar, unique in its fabrication, destined for the preservation of the wine of the Mass. Its surface is decorated with designs in relief showing vine-branches. Its mouth has been shaped like a barbed human being. 6*th*. /7*th*. century.

دورق دقيق الصنع من الفخار كمثرى الشكل بأذنين ومزين سطحه برسوم زخرفيه باللون الأسود القرن السابع غالبا

Pottery jug well fabricated pear-shaped with two ears and ornamented with floral black designs. Paob. 7*th*.cent.

أناء خشن الصنع من الفخار بداخله سبع طاسات صغيرة وكلها متماسكة بعضها ببعض ومثبتة بقاع الأناء القرن السادس/السابع غالبا

Rude earthenware vessel bolding seven small bowels attached to one another and fixed to the larger bowel. (6*th*. /7*th*. century).

خزانة تحوى مجموعة من الأوانى المتوسطة الأحجام والدوارق الصغيرة المستعملة بعضها لحفظ السوائل وبعضها للمياة ومنها ما هو مزين برسوم باللون الأسود

القرن السادس

Case containing a group pots probably for preserving various liquids and tiny water-bottles some of which are designed in black colour. 6*th*. century.

قاروة القديس مينا من الفخار وعليها
صورته وهو واقف بين جملين جاثمين
بالبارز . القرن السادس/السابع

St. Menas holy-water flask showing the saint between two kneeiing camels. 6*th*. /7*th*. century.

طبق بيضاوى كبير الحجم تمتاز صناعته بالدقة والإتقان

Large oval plate of fine workmanship.

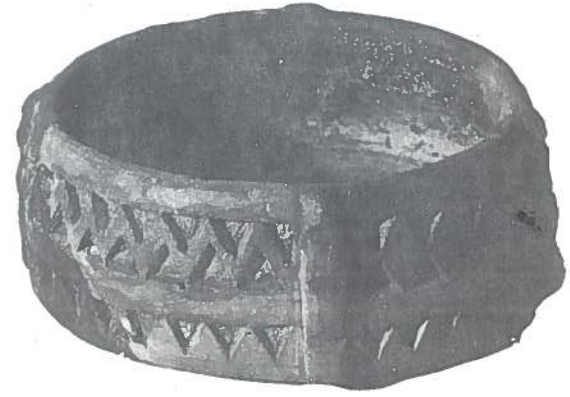

طاس من الفخار السميك مستدير
الشكل نقشت حافته الخارجية
برسوم هندسية بارزة

Rude round earthe ware bowel, the exterior rim of which has been carved with geometric designs in relief.

طبق من الخزف ذى البريق
المعدنى عليه رسم صياد يمسك باراً
من العصر الفاطمى القرن العاشر

showing a hunter on horseback holding a hawk. 10*th*. century.

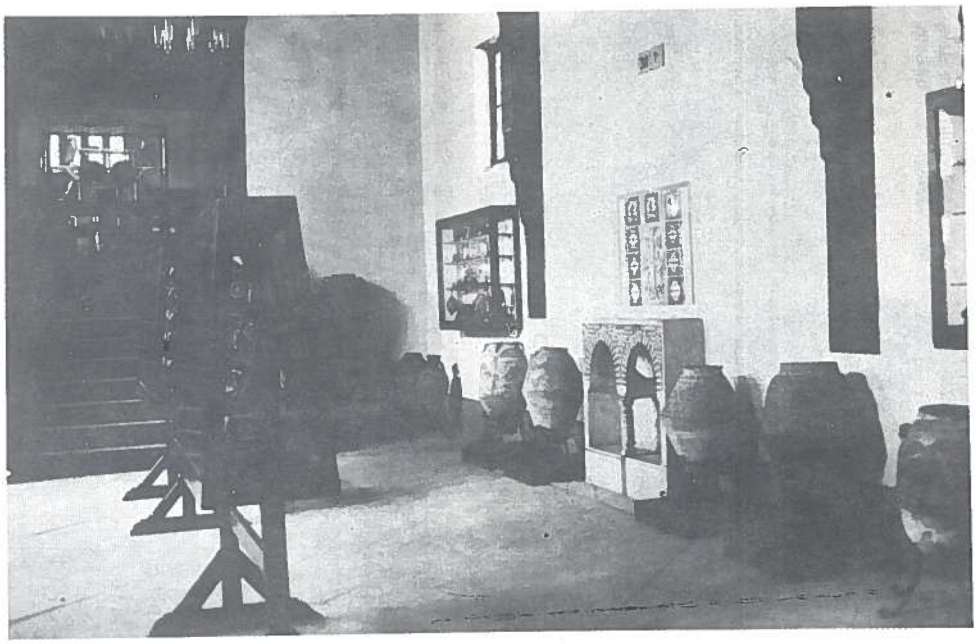

منظر لأحدى قاعات الفخار بالمتحف القبطى حيث يظهر إلى اليمين جانب من الجرار الكبيرة الحجم وعليها الرسوم المختلفة الأشكال بينما فى الوسط خزانة داخلها مجموعة من مرشحات الأباريق

A pottery room in the Coptic Museum. On the right are several large jars with various designs ; in the centre is a case with a group of jar-filters.

قطعة نادرة من أناء فخار وجدت بين الآثار الفاطمية بمدينة الفسطاط ومزينة بمنظر بيزنطى فريد بصور السيد المسيح وحول الرأس الهالة رمز القدسية من القرن الثانى عشر للميلاد

Part of a rare pottery-basin, found among the Fatimid excavations at Fustat, ornamented with a unique byzantian scene, depicting Lord Christ and the head is encircled by the halo symbol of sanctity. 12/*h.* century.

MAHABBA
BOOKSHOP

POTTERY
UNTIL COPTIC
&
ISLAMIC ERA

Dr. RAOUF HABIB

قطعة من القيشانى عليها صورة للسيدة العذراء وهى تضم جسد السيد المسيح بين ذراعيها

المتحف الإسلامى من القرن الثالث عشر

Ceramic fragment showing the Virgin Mary encircling Christ's Body with her arms. 13*th*. century. Islamic Museum.

Archaeological research and excavations in the ruins of monasteries throughout Upper Egypt show that there were pottery workshops in their neighbourhood. Piles of pottery fragments bear the characteristic designs and reliefs of the Coptic age. There were probably skilled potters among the monks themselves who practised their craft during their leisure.

During the Islamic era, the fabrication of pottery-vessels or eartheware-utensils attained a high standard. Several groups of pottery or earthenware fragments of bowls, parts of various plates and dishes have been excavated in the ruins of Fustat. They are ornamented with floral or geometric designs and depicting the figures of chalices, crosses, fish, swords, animals or birds, and some inclnde Arabic inscriptions. Most of those fragments are distinguished by their bright surfaces which mark either glaze layer or metallic luster that flourished during the Tolonid, Fatimid and Mamluk periods. They generally date from the 11*th* to the 15*th*. century. It is noteworthy to state that sometimes the name of the fabricant or the signature of the owner of the workshop was recorded on the vessel.

shapes of pottery, and archaeologists have devoted immence efforts to arranging them according to date and place of origin. The result is that today expects can recognise not only the general period to which a group of pots belongs but even the dynasty. This dating progress represented a great victory in archaeology, for it established a scientific basis for further research.

The study of pottery from the Coptic period, however is still only in its early stages. It requires much further work and study, before the many obscurities can be cleared up, although most Coptic pattery is characterised by marks and symbols that differentiate it from other periods. Nevertheless, many of the Coptic forms are similar to some of the Graeco-Roman[1] and even to some from ancient Egypt. It is not really surprising that potters from the Coptic age should conservatively have preserved the habits of their ancestors.

Coptic pottery flourished until the 13*th* century, and was so abundant that, according to Arabic chroniclers, when groceries or cereals were sold, the pottery containers were given free. The quantity and low cost of pottery is attributed to the abundance of the raw material — mud, clay and sand.

Among the important forms that are especially numerous at this time were the large and finely made plates which are often divided, sometimes into seven or even more smaller plates. It appears that this form was used when several courses were served at the same time in order to avoid the use of a number of plates. It is odd that this plate is not met with in ancient Egypt except at the village of Lisht, where a similar plate was found in the tomb of a noble called "Senbtisi" at the beginning of the 12*th* Dajnasty (about 2000 b.c.). Doubtless it was used for the same purpose as in Coptic period.

(1) In the Graeco- Roman period, splendid pottery vessels such as the delicate & thin kylixes, excellent fine amphoras and nice funerary urns have abundatly been fabricated- They were decorated wonderfully by attractive mythological designs and fantastic scenes representing gods or goddesses, heroes or warriors wrestling.

Large jars of various kinds were used in great numbers in the monasteries and churches, especially for containing the wine used in the mass. Most of these pots were decorated with pretty designs representing wild and domestic animals, birds such as peacocks, eagles, ducks, swans and pigeons, Nile and sea fish, frogs, crosses, vines and other symbolic or fantastic figures, while some bear portraits of saints or monks.

The characteristic features of Coptic pottery appear in a great variety of forms, and great care was expended on the refinement and polishing of their surfaces. Red and other lively colours reveal the skill of the potters and their admirable façility in creating fine designs and drawings.

The Coptic Museum has a special section for pottery, and it contains pots of all kinds arranged in the rooms, the smaller vessels being in cases. Among the small pots is a collection probably designed for containing unguents, perfumes and kohl. Other cases have a large selection of lamps, which come mostly from ancient churches and monasteries. Most of these have symbolic decorations in relief representing a frog, grapes, a cross or sometimes a bird with outspread wings or the bust of a saint. Offen we meet with a text in Coptic and sometimes the name of the owner in raised Coptic letters. It is amusing to find. inside a case fixed the wall. small holy-water flasks for St. Menas and a number of maulds for making them. On their surface they have the customary figure in relief of St. Menas between two kneeling camels. Somtimes his name in Coptic script is around his. The pilgrims took these pots with them when visiting the monastery dedicated to him at Mariut in the western desert near Alexandria. They filled them with holy water drawn from a spring near the tomb, a water noted for its ability to cure eye complaints. The pots were made in a special workshop near the manastery.

Pottery in Ancient Egypt until Coptic & Islamic Era

Pottery is one of the first essentials in the growth of civilisation and one of the oldest crafts known to man. It has also become the basic source which enables us to trace the earliest steps in man's progress.

The Egyptians excelled in making pottery back in the dawn of history, and their level of craftsmanship was high. It was indeed necessary to bestow care upon it, for it provided the necessary means for cooking meals, storing liquids of all kinds, preserving cereals against decay or loss, and even for the making of coffins to preserve the bodies of the dead. Various kind of clay were used by the potters. Egypt has always been abundantly supplied with the materials required for pot-making, and the industry was extremely widespread, The various forms and fabrics are innumerable on every ancient site, and this is true from the earliest times.

At Saqqarah, on the walls of a prince's tomb dating from the *5th.* Dynasty, lively figures show how the potters made their various products and arranged them in special furnaces. They also show the hand-driven wheel used in forming the pots.

It was not until 1890 that archaeologists came to understand the importance of pottery, but they then began to study all its various kinds and forms and to make corpuses of them for convenience of dating. Through this means archaeologists were enabled to date both sites and the objects in them.

The oldest pottery known in Egypt is that from Merimdah Beni Salameh on the western edge of the Delta, which revealed groups of pots of early predynastic age. They are roughly finished but varied in form. Each place and each period had its own special kinds and